بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

الاحد ٢ شوال ١٤٤٤ هـ / ٢٣ نيسان ٢٠٢٣م العدد ٢٣٢

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

نشرة تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

المرأة والمعارف القرآنية (١)

لا شك إن الأحاديث الشريفة التي بيّنت فضل حملة القرآن وثواب تعلّمه مطلقة، وتشمل الرجال والنساء على حد سواء، كقول النبي (ﷺ): (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)(٢) وقوله (ﷺ) (خياركم من تعلّم القرآن وعلّمه)(٣) وقوله (ﷺ): (لا يعذّب الله قلباً وعى القرآن)(٤)، وقد منَّ الله تعالى عليكنّ بهذا الفضل العظيم وهو تعلم القرآن فاشكرن الله تعالى عليه وحافظنَّ على هذه النعمة بالاستمرار عليها.

وأنتم الآن تطوون المسافة في النصف الأول من الطريق وهو (تعلّم القرآن) بالتدبّر والتأمل في معانيه، ومعرفة القواعد العامة للتفسير، والتزود بالأدوات التي تمكنّكم من تفسير الآيات الكريمة وفهم المراد منها، الى أن تصبح عندكم القابلية للانتقال الى النصف الثاني وهو تعليم القرآن وتفسيره، وإيصال ما ينفتح لكم من معانيه الى الناس، ليكتمل العطاء الإلهي وتكونوا من خيار الناس كما في الحديث السابق.

ولا شك أن الإحاطة بمعاني القرآن مستحيل على امثالنا، لان معاني القرآن لا حدود لها، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] وبحسب الظاهر فأن ألفاظ الكلمات لها عدد محدود، لان عدد الحروف محدود، وكذلك عدد حروف كل كلمة، ويعرف بقوانين الاحتمالات مجموع عدد الكلمات في اللغة العربية مما استقصته المعاجم اللغوية، فكيف تقول الآية إن كلمات الله تعالى سبحانه لا نفاد لها؟

وقد عرضتُ وجوهاً لتفسيرها، أحدها أن المراد معاني كلمات الله تعالى أي بتقدير مضاف فإنها لا تنفد، بل تتجدد وتتكثر كلما ازداد الوعي وتعمّق العلم وتطورت الحياة واتسعت شؤونها وقضاياها، وقد عبَّر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن هذه الصفة للقرآن بقوله: (لا تفني عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به)(٥).

وإنما نتحدث عما يتيسر لنا من فهم كتاب الله تعالى، وما يفتح الله تعالى علينا من معانيه، وهو لا ينال فقط بالدراسة والتعلم، بل يحتاج الى اخلاص وصفاء النفس، وقد ذكر السيد الشهيد الصدر (قدس سره) في بعض رسائله في (قناديل العارفين) ان من علامات اهل السلوك الصالح الى الله سبحانه أنه سبحانه ينفتح لهم عدة وجود ومعانٍ للآيات الكريمة، قال السيد الحكيم (قدس سره) في كتابه حقائق الأصول: ((حدَّث بعض الأعاظم دام تأييده - أنه حضر يوما منزل الآخوند

التتمة في الصفحة الرابعة

---

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) يوم ٤ شعبان ١٤٤٤ الموافق ٢٤ /٢ /٢٠٢٣ مع حشد كبير من الفاضلات اللواتي يتلّقين دروساً في تفسير القرآن وقواعده وتدبر معانيه عبر منصة الكترونية للسنة الثالثة على التوالي بإشراف الأستاذ المتمرس في مناهج المفسرين سماحة العلامة السيد عبد السلام زين العابدين (دامت بركاته).

(٢) وسائل الشيعة :٦/١٦٧-١٦٨. (٣) وسائل الشيعة:٦/١٦٧-١٦٨. (٤) وسائل الشيعة:٦/١٦٧-١٦٨. (٥) بحار الأنوار: ج ٢/ ص ٢٨٤.

ربَّ فعل صغير يكون له أثر كبير (١٠)

يحسُن إضافة قاعدة إلى قواعد التنمية البشرية إن لم تكن مدونّة فيها ملخصها ((دقّق في خياراتك فربَّ فعل صغير يكون له أثر كبير)).

وهذا المعنى مستفاد من النصوص الدينية المباركة لذا نهى الله تعالى في القرآن الكريم عن قول (أفٍ) وهي شاملة للأفعال الحسنة والسيئة، إذ إنّ كلاً منهما قد يكون كذلك، ولكننا سنخصّص الحديث عن الثاني لأنه الأخطر على المجتمع.

وهذا المعنى مستفاد من النصوص الدينية المباركة لذا نهى الله تعالى في القران الكريم عن قول (أفٍ) للوالدين، قال تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ (الإسراء: ٢٣) أي للوالدين لأنها رغم ضآلتها الا أنها تمثل مرتبة من مراتب العقوق الذي هو من الكبائر.

روت إحدى ازواج النبي (ﷺ) قالت: (دخلت علينا امرأة، فلما ولّت، أومأت بيدي أنها قصيرة، فقال (ﷺ): اغتبتها)(١١)، وروت أيضاً أنها قالت: (إني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي (ﷺ): إن هذه لطويلة الذيل. فقال لي: الفظي الفظي! فلفظت مضغة لحم)(١٢).

فهذه الإشارة البسيطة التي لا يعبأ بها جعلت فاعلها ممن تورط بإحدى الكبائر وهي الغيبة التي وصفها الله تعالى بقوله ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: ١٢) وذمتها الروايات الشريفة ورتبت عليها أقسى العقوبات.

وروي في الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ): (من نظر إلى مؤمن نظرة يخيفه بها أخافه الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله)(١٣) فالنظرة فعل بسيط لكنه لا يخفى على الله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ (غافر: ١٩) لكنها لما اقترنت بعنوان إخافة المؤمن أوجبت تلك النهاية المرعبة.

حكي ان شيطاناً وصغيره مرّا على خباء وبفنائه بقرة تحلبها امرأة وبجانبها رضيعها وقد خرج الرجل إلى العمل ليجلب لهم القوت، فلم يُطِقِ الشيطان الصغير أن يرى أسرة سعيدة تعيش بهدوء وتكسب من الحلال، فحرّك الوتد الذي رُبطِت إليه البقرة فنفرّت البقرة وداست الطفل الرضيع وقتلته وأهرقت الحليب، فغضبت المرأة وطعنت البقرة وقتلتها من دون أن تعرف سبب فعل البقرة، ولما جاء الزوج وجد طفله ميتاً والبقرة كذلك فانتقم من المرأة وقتلها، ولما علمت عشيرتها اقتصت من الزوج فقتلته وثارت عشيرة الزوج لتنتقم من عشيرة المرأة ووقعت الحرب بينهما, وهنا سأل الشيطان الكبير صغيره: ماذا فعلت يا خبيث واحدثت كل هذه المصائب، فأجابه بأنه لم يفعل ازيد من تحريك الوتد، فهذه الكوارث سببّها فعل بسيط.

فلا بد من التثبت والتدقيق في الاقوال والافعال وحساب نتائجها القريبة والبعيدة جيداً روي عن أبي جعفر (عليه السلام) يقول: (أنه يحشر العبد يوم القيامة وما ندى دما، فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا رب إنك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دما، فيقول: بلى، سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه)(١٤).

فالإهمال والتساهل والغفلة وعدم التثبت من الأمور توجب الوقوع في الكبائر من حيث يشعر او لا يشعر، قال الله تعالى محذراً ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المجادلة: ٦) ويقول الأنسان نادماً متحسراً حيث لا ينفعه الندم ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

---

(١٠) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع مجموعة من المتدربين لنيل شهادة مدرّب تنمية بشرية يوم ٢٦ /رجب/١٤٤٤ الموافق ١٨ /٢ /٢٠٢٣.

(١١) بحار الأنوار: ج ٧٢ /ص ٢٢٤، جامع السعادات: ج ٢ /ص ٢٢٦. (١٢) كتاب تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: ج٤ / ص ١٧٥٢/ح ٢٧٥٥، جامع السعادات: ج ٢ /ص ٢٢٦.

(١٣) ميزان الحكمة: ج ١ /ص ٦٦. (١٤) بحار الأنوار:ج ٧ /ص.٢٠٢ عن الكافي: ٢ /٣٧٠

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (١٥)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أمرٌ بالإنفاق في سبيل الله -أي طلباً لثوابه ونيل رضوانه تعالى- ، والسبل الموصلة إلى الله تعالى والمقرّبة إليه سبحانه كثيرة يلّخصها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، فلا يختص بمورد سياق الآية وهو الإنفاق في لوازم وتكاليف الجهاد والمجاهدين في سبيل الله تعالى لردّ المعتدين والمفسدين، ونشر الدين وإعزاز المؤمنين وحفظ عقائدهم وأخلاقهم.

والآيات الكريمة الآمرة بالإنفاق كثيرة ومتنوعة فبعضها جاءت مقترنة بالترغيب في الإنفاق وما فيه من خير الدنيا والآخرة كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١) وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٧١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩) وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣)، فالانفاق سبب لنيل الرحمة الإلهية والتطهير والتزكية وغفران الذنوب ومضاعفة البركات والفوز بالتجارة الخالدة مع الله تبارك وتعالى.

وبعضها عن طريق بيان سوء عاقبة المتخلفين عن الإنفاق كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٥_٣٤) وقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الحاقة: ٣٠-٣٤) وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (الماعون: ١-٣) وقوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۞ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ (المدثر ٤٢-٤٤)، فهذه صور كعواقب فضيعة يكفي مجرد تصورها للإصابة بالذعر والهلع الشديدين، ومنها الآية الكريمة التي نقتبس من نورها فقد جعلت عدم الانفاق سبباً للوقوع في التهلكة كما سنبين ان شاء الله تعالى.

أما الأحاديث الشريفة فإنها تفوق حد الإحصاء ولا يسع المجال لذكرها نذكر أحدها في جانب الترغيب وهو قول النبي (ﷺ) (ارض القيامة نار، ما خلا ظلّ المؤمن فان صدقته تظلّه)(١٦) والثاني في التخويف وهو قول الإمام الباقر (عليه السلام): (الذي يمنع الزكاة يحوّل الله ماله يوم القيامة شجاعاً (أي ثعبان) من نار له ريمتان(١٧) فيطوقه إياه ثم يقال له: ألزمه كما لزمك في الدنيا، وهو قول الله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠))(١٨).

ولأن النفس الإنسانية مجبولة على حب المال ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠) ويصعب عليها الإنفاق ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠)، فقد عرضت الآيات الكريمة عدة محاولات للدخول في أعماق النفس الإنسانية وإقناعها بالإنفاق، كالوعد بأن الله تعالى يخلف على الإنسان ما ينفقه في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩)، مضافاً الى أنّ له أجر ما أنفق(١٩) قال تعالى ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢) وهذا الإيفاء متحقق في الدنيا والآخرة وغير ذلك من الأساليب التي سنبينها في قبس مستقل ان شاء الله تعالى.

ومن الواضح أن بعض الإنفاق واجب كزكاة الأموال والأبدان - أي زكاة الفطرة- والخمس والكفارات المالية وردّ المظالم ونفقة الحج الواجب وغير ذلك، وبعضها مستحب كالإنفاق في وجوه البر والإحسان وما أكثرها، وبعضها محرم كالذي ينفق في المعاصي كشرب الخمر وحضور حفلات المجون، او كان انفاقه سبباً لإدخال الأذى على الآخرين بالإذلال والتحقير، كما في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣) وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ (البقرة: ٢٦٢) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة: ٢٦٤) أو كالذي يسرف في إنفاق كل ما عنده ولا يبقي شيئاً لمن يعول بهم فإنه منهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩) والمطلوب الوسطية والاعتدال، قال تعالى في مدح عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)، وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (البقرة: ٢١٩) أي الفضل الزائد عن احتياجاتكم المعاشية، روي إن شخصا جاء إلى النبي (ﷺ) بقطعة ذهبية هي كل ما يملك متصدقاً بها فلم يقبل النبي (ﷺ) صدقته لمّا علم أنه لم يُبق لأهله شيئاً.

وحثّت الآيات الكريمة على أن يكون الإنفاق من المال الجيد الذي ترغب فيه النفس، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩٢) وليس مما لا تقبله النفس إلا مرغمة كالذي يخرج خمسه من بضاعة كاسدة انتهى موسمها أو يخرج في الزكاة والفدية والكفارة نوعية رديئة من الطعام، قال تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة: ٢٦٧).

ومن كرم المولى على عبده أنه أعطى نفس أجر الصدقة لمن يتوسط في إيصالها، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (لو أن الصدقة جرت على يدي سبعين ألف ألف إنسان، كان أجر آخرهم مثل أجر أولهم)(٢٠).

وينبغي الالتفات الى أن الانفاق لا يقتصر على تمليك المال للمحتاج بل يمكن ان يكون من خلال مصنع او شركة تجارية فيوفّر للفقير العاطل فرصة عمل يكسب منه مالً حلالاً او يسلّفه مالاً لينشئ متجراً خاصا به وبذلك يتحوّل الفقير من شخص مستهلك الى منتج، وهذا من مصاديق الآية الشريفة ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (البقرة: ٢٤٥)، ومن معاني الحديث الشريف عن الامام الرضا (عليه السلام) (أحسن الناس معاشاً من حسن معاش غيره في معاشه، واسوأ الناس معاشاً من لم يعيّش غيره في معاشه)(٢١)

وقد أطلقت الآية الكريمة متعلق الإنفاق ولم تُحدِّد ماذا ينفقون لنلتفت إلى أن موارد الإنفاق كثيرة لا تقتصر على المال، وأوضح موارده الأخرى:

١- العلم النافع في سائر حقول المعرفة والفنون والتجارب قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): (تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة)(٢٢)، وقال (ﷺ): (تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأي يسدده)(٢٣)، وقال (ﷺ): (أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم)(٢٤).

وبشّرت من ينفق العلم بالزيادة والانفتاح على علم جديد ففي الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (يا كميل: ..... العلم يزكو على الإنفاق)(٢٥) وفي الحديث (ما أهدى المرء المسلم على أخيه هدية أفضل من كلمة حكمة، يزيده الله بها هدى، ويرده عن ردى)(٢٦).

٢- الأخلاق الحسنة ومعاشرة الناس بالمعروف، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (البقرة: ٢١٩) بناءً على أن معنى العفو هنا هو الصفح، وفي الحديث النبوي الشريف (يا أبا ذر الكلمة الطيبة صدقة)(٢٧) وقال (ﷺ): (كل معروف صدقة إلى غني أو فقير)(٢٨) وقال (ﷺ) (ترك الشر صدقة)(٢٩) وقال (ﷺ) (تبسُّمك في وجه اخيك صدقه)(٣٠) وروي أن النبي (ﷺ) قال لعمه العباس: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)(٣١) وروي عنه (ﷺ) قوله: (إن على كل مسلم في كل يوم صدقة، قيل من يطيق ذلك؟ قال: إماطتك الأذى عن الطريق صدقة، وإرشادك الرجل إلى الطريق صدقة، وعيادتك المريض صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وردك السلام صدقة)(٣٢) وقال (ﷺ): (إن أفضل الصدقة صدقة اللسان، تحقن به الدماء، وتدفع به الكريهة، وتجرّ المنفعة إلى أخيك المسلم)(٣٣).

٣- الجاه والمكانة الاجتماعية: وهذا رصيد كبير يمنحه الله تعالى لبعض الناس يمكن استثماره في الخير، ولا يجعل شأنيته ومكانته الدينية او الاجتماعية مانعاً من القيام بما يريده الله تعالى، فيستطيع الإنسان الوجيه أن يسعى بوجاهته لدى الناس لقضاء الحوائج وتيسير الأمور وإصلاح المتخاصمين فيكون ممن أنفق جاهه في سبيل الله تعالى، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما)(٣٤)، وفي حديث آخر عن رسول الله

التتمة في الصفحة الثالثة

---

(١٥) خطبتا صلاة عيد الفطر المبارك للعام ١٤٤٤الموافق يوم السبت ٢٢-٤-٢٠٢٣ (١٦) الكافي: ٤ /٣،ح٦

(١٧) كذا في جميع النسخ، وهكذا نقله في المستدرك أيضا، والصحيح " زبيبتان " تثنية زبيبة وهما نقطتان سوداوان فوق عيني الحية والكلب. يخيل للرائي أن لها أربعة أعين وإذا كانت كان عضها قتالاً. (١٨) بحار الأنوار: ج ٩٣ - ص ٨.

(١٩) يوجد في إحدى الدول الأوروبية بنك للوقت تسجّل فيه حساباً للوقت الذي تنفقه في خدمة الآخرين على نحو المداراة الصحية أو الأعمال المنزلية وغير ذلك وهذا الرصيد يُستفاد منه عند الاحتياج إلى المساعدة في الشيخوخة أو المرض أو أي سبب آخر فيأتي من يخدمك مدة تستقطع من الرصيد فهذا تطبيق لما افادته الآية الكريمة من أن الله تعالى يخلف على المنفق.

(٢٠) ميزان الحكمة: ٥ /٧٧ ح ١٠٥٨٨، ح١٠٥٩٠. (٢١) تحف العقول: ٣٢٩، بحار الانوار: ٧٨ /٣٤١ وتقدم شرح الحديث في موسوعة خطاب المرحلة:١١ /٣٣٧.

(٢٢) بحار الأنوار: ج ١ /ص ١٦٦. (٢٣) بحار الأنوار: ٧٥ / ١٠٥ ح٤٠. (٢٤) ميزان الحكمة: ج ٢ /ص ١٥٩٩، كنز العمال: ١٦٣٥٧. (٢٥) بحار الأنوار: ج ٧٥ /ص ٧٦.

(٢٦) ميزان الحكمة: ج ٤ /ص٣٤٥٣. (٢٧) بحار الأنوار: ج ٨٠ /ص٣٦٩. (٢٨) أمالي الطوسي: ٤٥٨ / ١٠٢٣. (٢٩) بحار الانوار: ٧٧/١٦٠ح١٦٨.

(٣٠) كنز العمال: ١٦٣٠٥، ميزان الحكمة: ٥ /٧٠. (٣١) بحار الأنوار: ج ٦٨ /ص ٣٨٤. (٣٢) بحار الأنوار: ج ٩٣ /ص ١٨٢. (٣٣) ميزان الحكمة: ج ٥ /ص ٧٢.

(٣٤) وسائل الشيعة: ج ٢٠/ ص ٤٥، حكى بعض السادة المعروفين ان احد الشباب تعلق بفتاة وطلب من اهله خطبتها فردّهم والد الفتاة بعنف لأمر يخصّه فوسّطوا هذا السيد فردّه الوالد بنفس الطريقة ثم طلبوا منه إعادة المحاولة فلاقى نفس الرد وتكررت العملية ووالد الفتاة يقول له الا تستحي من كثرة الرد العنيف، فقال السيد انا اعمل بتكليفي وفي النهاية لان قلب والد الفتاة وأذِن بمناقشة الموضوع وتم الزواج بفضل الله تعالى.

(ﷺ): (إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم)(٣٥)، وقال الامام الصادق (عليه السلام) (صدقة يحبها الله: إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا)(٣٦) واهم موارده اليوم إطفاء نائرة الحرب والصراع بين العشائر التي تشتعل بين حين وآخر وتخلّف الكوارث فمن واجب الجميع معالجة أسبابها قبل وقوعها وإغلاق هذا الباب للشر والفساد نهائياً.

٤- بذل النفس في سبيل الله وهي أكمل درجات الإنفاق، قال رسول الله (ﷺ): (فوق كل ذي برّ برٌ حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر)(٣٧) ونظم الشاعر هذا المعنى بقوله:

يجود بالنفس إن ضنَّ الجواد بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وغير ذلك من موارد الإنفاق كالوقت والراحة والجهد قال النبي (ﷺ) (أفضل الناس رجل يعطي جهده)(٣٨) بناءاً على هذا المعنى من الجهد وليس القليل الذي هو غاية ما يتيسر له، وهكذا أي شيء يمكن أن يتحوّل إلى عمل مثمر ينفع الناس.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥) تحذير من مغبّة عدم الإنفاق في موارد رجحانه بخلاً او خوف العيلة ومن عاقبة سوء الإنفاق كالإسراف او إعطاء الردي او في غير مورده ومن دون هدف راجح ولا تخطيط محكم بأنَّ ذلك سيؤدي بكم إلى الهلاك وسيجعلكم عرضه للفناء لأن التهلكة مصدر(٣٩) على وزن تفعُلة بضم العين وتعني ((كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك))(٤٠) أو يكون في معرض الهلاك ويكون مصيره مجهولاً، ومن مصاديقها المفازة لأنه يهلك فيها كثيرون.

والباء سببية أي بسببكم وسوء افعالكم وماجنته أيديكم واليد كناية عن فعل الإنسان نفسه لأن أكثر ظهور أفعالها بها كما ورد عن رسول الله (ﷺ): (هَذِهِ يَدَايَ وَمَا جَنَيْتُهُ عَلَى نَفْسِي)(٤١) وهي شاملة لجنايات نفسه كلها، وفي الحديث النبوي الشريف (على اليد ما أخذت حتى تؤدي)(٤٢) الشامل لجميع الضمانات حتى لو حصلت بغير اليد، فيكون معنى الآية لا تكونوا انتم سبباً للألقاء في التهلكة وعلى هذا فإن المفعول به أي الملقى غير مذكور في الآية فهو مطلق شامل لأنفسكم كأفراد وللمجتمع ككل، فلا تلقوا قوتكم وكيانكم وتقدّمكم وحضارتكم وأخلاقكم وعلاقاتكم ونظامكم الاجتماعي والأخلاقي وحتى دينكم في التهلكة والفناء إن لم تنفقوا في ما يتطلبه حفظ كل ذلك من مال وجهد وفكر ووقت وطاقة وإمكانية قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠)، لذا فإن الشعوب الكسولة الخاملة التي تركت ما يجب عليها من الإنفاق المناسب من المال او الجهد او النفس تُستعبَد وتتخلّف وتُصادَر خيراتها وتُمتهن كرامتها وتخسر أضعاف ما بخلت به، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦)، أي انهم وإن لم ينفقوا أموالهم في طاعة الله تعالى الا أنهم في النتيجة سينفقونها في معصية الله ثم تكون عليهم حسرة(٤٣).

وحينئذ يمكن أن تكون الباء للمصاحبة كما في قوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ (المؤمنون: ٢٠) وفي زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة شهادته: ﴿فُطِرَتْ وَاللهِ بِنِعْمَائِهَا﴾(٤٤)، فيكون المعنى ولا تأخذوا أنفسكم وقوتكم بأيديكم وتلقوها في الهلاك ولا تدمرّوا إمكانياتكم وقدراتكم المتنوعة بترك الإنفاق في سبيل الله.

وقال جمع من المفسرين كالطبري في جامع البيان والطبرسي في المجمع والطباطبائي في الميزان أن الباء زائدة كقولك جذبت بالثوب أي جذبت الثوب باعتبار أن ألقى يتعدى بنفسه كما في ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ (الشعراء: ٤٥) وزيدت لتأكيد معنى النهي ويكون المعنى ولا تلقوا أيديكم كناية عن أنفسكم في التهلكة.

وهذه التهلكة يمكن تصورها من عدة جهات:

١- دينية وأخلاقية فإن البخل يميت روح الإنسانية لدى الغني ويمسخ فطرته، وبالمقابل فإن الفقير الذي لا يجد من يوفّر له ولعياله القوت يتخلى عن إيمانه ويسلك الطرق المنحرفة والمحرمّة، للحصول على ضرورات حياته، وكم من امرأة تخلّت عن عِفّتها وحيائها وسيلة لكسبها مدعيّه أن الحاجة ألجأتها إلى ذلك، وقد اشتهرت كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام): (كاد الفقر أن يكون كفراً)(٤٥) وإن كثيراً من الجياع لما تتحدث لهم عن ضرورة الالتزام بالدين فإنه يطالبك بإشباع بطنه أولاً، قال رسول (ﷺ) في دعائه: (بارك لنا في الخبز ولا تفرق بيننا وبينه فلولا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا أدّينا فرائض ربنا)(٤٦) وقد اشتهرت الكلمة (لولا الخبز لما عُبِدَ الله تعالى).

٢- اقتصادية: فإن وجود طبقة فقيرة لاتمتلك المال لشراء احتياجاتها يؤدي إلى كساد السوق، فإذا أنفق الموسرون عليهم فإن هؤلاء سيحرّكون السوق والمصانع والتجارة ويعود بالنفع على أصحاب المعامل والتجار أنفسهم، وهذه من أهم النظريات الاقتصادية، ومن تطبيقاتها أن الدول التي تتراكم عليها الديون ويصيبها العجز والإفلاس وتنذر بالسقوط فإن الدول الغنية تمدُّ إليها يد المساعدة والإقراض لتقويم اقتصادها وتحريك سوقها فتحرّك اقتصاديات تلك الدول المانحة كما حصل لليونان في أزمتها المالية قبل عدة سنوات، حتى أعلنت مؤسسات الإفلاس.

٣- سياسية: فإن من أهم وسائل إخضاع الأفراد والشعوب والدول هو تجويعهم وفرض الحصار عليهم، فتضطر الدول المحاصرة إلى التنازل عن سيادتها واستقلالها وكرامتها، وترضى بالتبعية والذل والخضوع من أجل الحصول على المساعدات الموعودة، وتجارب دول العالم الثالث كما يسمونها كثيرة، وشعارهم في ذلك المثل القائل (جوّع كلبك يتبعك) وهذا المنهج يتخذّه الطغاة والمستكبرون لإخضاع شعوبهم بحرمانهم من الحقوق والخدمات الأساسية ليبقى الشعب خانعاً مستسلماً لإرادة الطاغية طمعاً في الحصول على الفتات منه، وقد استعملت قريش هذا الأسلوب حينما حاصرت رسول الله (ﷺ) وبني هاشم في شعب ابي طالب عدة سنوات، وسياسة خلفاء السقيفة مع علي وفاطمة (عليهما السلام) حينما صادروا فدك وغير ذلك.

٤- أيديولوجية: فقد استعمل الإنفاق المالي لتبديل أفكار الناس وقناعاتهم كالذي يفعله المبشرون المسيحيون خصوصاً في افريقيا لتنصير الفقراء، أو ما يبذله المرشحون في الانتخابات لكسب أصوات الناس مع علمهم بفساد المرشح وعدم أهليته، ولو وجد هؤلاء الناس ما يكفيهم لما اضطروا إلى تبديل عقائدهم والعمل على خلاف قناعاتهم.

٥- أمنية واجتماعية: فإن المحرومين من حقوق الحياة الأساسية يصبحون قنابل موقوتة في المجتمع جاهزة للانفجار في أي لحظة حينما يفقدون الصبر على حالتهم التعيسة، وإن التمايز الطبقي ووجود طبقة قليلة ثرية مترفة مقابل طبقة واسعة محرومة من أكثر أدوات الحرب الناعمة اليوم فاعلية من خلال اثارة روح الانتقام لدى هذه الطبقة وتوزيع الأموال عليهم لتأجيج الشارع بهم واتخاذهم وقوداً في الفتن والحروب الأهلية وإحداث الخراب والدمار، وأمثلتها من الواقع العراقي ليست بعيدة. وقد اختصر أمير المؤمنين (عليه السلام) المشكلة وحلّها بقوله: (حصّنوا أموالكم بالزكاة)(٤٧).

هذه صور من التهلكة التي تحصل لو بخل الناس بأموالهم ولم ينفقوا في ما أمرهم الله تعالى به، وهو شاهد آخر على ما عرضناه في محاضرة سابقة من أن الإسلام يُقدِّم مشروعه كبرنامج إصلاحي شامل في الدنيا، ولا يكتفي بوعود السعادة والنعيم في الآخرة، لأن الإنسان بطبعه يرغب في الأجر العاجل، ويحفزّه على العمل ما يلمسه من نتائج على أرض الواقع، وتخوّفه بالمخاطر والعقوبات المنظورة، وهكذا هو الإسلام في كل تشريعاته حتى العبادية فلم يكتف في الصوم أن يقول أن فيه ثواب الجنة ومغفرة الذنوب ونحو ذلك وإنما قال أيضاً في الحديث النبوي الشريف: (صُومُوا تَصِحُّوا)(٤٨) وقال (ﷺ) أيضاً: (المعدة بيت كل داء، والحمية رأس كل دواء)(٤٩) وقد أثبتت الدراسات الطبية حاجة الإنسان إلى صوم أيام في السنة لتصحيح وظائف جسمه وتنظيم عمل أجهزته وغدده وهرموناته.

وبهذا عُرِف وجه الإتيان بهذا التحذير عقب الأمر بالإنفاق للملازمة بينهما، واتضح انسجام وقوع الآية ضمن سياق الأمر بالقتال لحفظ الدين ورد عدوان المعتدين والمفسدين، ومنع وقوع الناس في الفتنة والفساد والانحراف والذي بدأ من الآية ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠) إلى أن قال تعالى في الآية ١٩٣: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الى ان وصل الى الاية ١٩٥ وهي التي نقتبس من نورها الآن، فان امتناع الأمة عن بذل المال والجهد والنفس يؤدي إلى اضمحلالها بتسلّط الأعداء عليها وسيطرتهم على مقدراتها. ففي هذا الإنفاق إنقاذ للأمة من التهلكة وليس العكس.

فلا يبقى حينئذ وجه للإشكال على حركة الإمام الحسين (عليه السلام) بأنها من إلقاء النفس في التهلكة، لأنه (عليه السلام) حفظ الأمة من التهلكة بتضحياته الجسيمة، وإن النهي عن التهلكة ورد في سياق الأمر بالقتال في سبيل الله فكيف يكون هذا القتال من إلقاء النفس في التهلكة؟ فسياق هذا الآيات يجعل هذا الإشكال غريباً ولا معنى له، وحينئذ لا نحتاج إلى ما أجاب الطبرسي (قدس سره) فإنه بعد أن استدل بالآية على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس، وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف، لأن في ذلك إلقاء النفس في التهلكة قال: (فإن عورضنا بأن الحسين (عليه السلام) قاتل وحده؟ فالجواب: إنّ فعله يحتمل وجهين

التتمة في الصفحة الرابعة

---

(٣٥) أمالي الطوسي: ج ٢ /ص ١٣٥. (٣٦) الكافي: ٢ /٢٠٩/ح١. (٣٧) الكافي: ج٢/ص٣٤٨/ح٤. (٣٨) كنز العمال: ١٦٠٨٤.

(٣٩) قال الطبرسي في مجمع البيان: (٢/ ٢١) وفاقا لجمع من اللغويين كلسان العرب ((ليس في كلام العرب مصدر على تفعُلة- بضم العين- إلا هذا)) وهكذا قال المفسرون كالآلوسي والطباطبائي، واذا أرادوا بذلك انه شاذ فاننا لا نرى في ذلك شذوذاً لأن السمع لا ينفر منه إذا ألقي إليه وهذا معيار مقبوليته، مع إمكان أن تكون بالأصل مكسورة العين وضمَّت بتعدد القراءات، وحكي عن سيبويه احتمال أن يكون أصلها بكسر اللام فأبدلت الكسرة ضمة (روح المعاني: ١/ ٦٤٨) وعلى كسر العين فإن هذا المصدر موجود كما في قوله تعالى ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ (التحريم : ٢) نحو (تبصرة وتذكرة وتجربة وتهنئة وتزكية وتربية وتقوية، وبفتح العين نجد (تُؤدَة) كما في قول النبي (ﷺ) (التُؤدَةُ في كل شيء خير الا في عمل الاخرة) كنز العمال: ٥٧٦٣، وعلى أي حال فإن النص القرآني حاكم على اللغة وميزان سلامتها وليس العكس قال الفخر الرازي: ((إني لأتعجب كثيراً تكلّفات هؤلاء النحويين في أمثال هذه المواضع، وذلك أنّهم لو وجدوا شعراً مجهولاً يشهد لما أرادوه فرحوا به، واتخذوه حجة قوية، فورود هذا اللفظ في كلام الله تعالى المشهود له من الموافق والمخالف بالفصاحة، أولى بأن يدل على صحة هذه اللفظة واستقامتها)) المجلد: ٣، ٥/ ١٤٦.

(٤٠) لسان العرب مادة هلك، قال اليزيدي: التَّهْلُكة من نوادر المصادر ليست مما يجري على القياس.

(٤١) بحار الأنوار: ج ٩٤ / ص٨٩ قال الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (ﷺ) في ليلة النصف من شعبان عند سجوده (ﷺ) (سجَدَ لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي هذه يداي وما جنيتُه على نفسي يا عظيم تُرجى لكل عظيم ...). (٤٢) سنن ابن ماجة: ج ٢ /ص ٨٠٢. (٤٣) راجع تفسير هذا القبس في الجزء الثاني من تفسير (من نور القرآن).

(٤٤) ضياء الصالحين: ٦٤، زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم استشهاده ٢١ من شهر رمضان. (٤٥) بحار الأنوار: ٧٠ / ص ٢٤٦. (٤٦) الكافي: ج ٥ /ص ٧٣.

(٤٧) نهج البلاغة: قصار الكلمات/ رقم ١٤٦، وسائل الشيعة: ٩/ ١٥ ح ١١٤٠٢. (٤٨) بحار الأنوار ٩٣ /ص ٢٥٥ (٤٩) موسوعة الأحاديث الطبية: ج ٢ /ص ٤٠٦.

تتمة: المرأة والمعارف القرآنية

(ملا فتح علي(٦) (قدس سره)) مع جماعة من الأعيان منهم السيد إسماعيل الصدر (قدس سره) والحاج النوري صاحب المستدرك (قدس سره) والسيد حسن الصدر دام ظله فتلا الآخوند (قدس سره) قوله تعالى: (واعملوا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الايمان... الآية) ثم شرع في تفسير قوله: تعالى فيها: حبب إليكم... الآية وبعد بيان طويل فسرها بمعنى لما سمعوه منه استوضحوه(٧) واستغربوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه لهم، فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسرها بمعنى آخر غير الأول فاستوضحوه أيضا وتعجبوا من عدم انتقالهم إليه قبل بيانه، ثم حضروا عنده في اليوم الثالث فكان مثل ما كان في اليومين الأولين ولم يزالوا على هذه الحال كلما حضروا عنده يوما ذكر لها معنى إلى ما يقرب من ثلاثين يوما فذكر لها ما يقرب من ثلاثين معنى وكلما سمعوا منه معنى استوضحوه، وقد نقل الثقات لهذا المفسر كرامات قدس الله روحه))(٨).

وأمام هذا التجدد والتكثر لمعاني القرآن لايجوز لنا التوقف عند فهم جيل معين والاكتفاء بما أبدعه السلف الصالح الى زماننا المعاصر من تفاسير، وينقل عن السيد الطباطبائي (قدس سره) صاحب تفسير الميزان انه كان يقول ان الامه بحاجة الى تفسير جديد للقرآن كل سنتين، يعني أنه خلال إنجازه لتفسير الميزان الذي استغرق عشرين عاماً لا بد أن تصدر عشرة تفاسير منوعة.

إذن علينا أن نتعب أنفسنا في تهيئة المقدمات التي تمكننا من فهم كتاب الله تعالى وروايات أهل البيت (عليهم السلام) وتحّمل علومهم، لنكون ممن شملهم دعاء الإمام عليه السلام بالرحمة فيما رواه الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن الهروي (قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يقول: رحم الله عبد أحيا أمرنا فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس)(٩) فهاتان نفس المرحلتين اللتين ذكرهما النبي (ﷺ) وهما التعلّم اولاً والتعليم ثانياً.

وعلومهم (عليهم السلام) لا تختص بالأحكام الشرعية المعروفة بالفقه في المصطلح المتداول، وإنما تشمل كل علومهم وعلى رأسها تفسير القرآن، فقد وردت عنهم فيه آلاف الروايات، وخصصوا جملة من أصحابهم لهذا العلم كعبد الله بن عباس في الصحابة وسعيد بن جبير في التابعين وجابر الجعفي في تابعيهم، حتى يستفيد منهم الناس الذين حرموا من بركات الاتصال المباشر بأهل البيت (عليهم السلام)، بسبب التشويه والتضليل والحصار والمقاطعة والعقوبات القاسية لمن يرتبط بهم (عليهم السلام)، لكنهم (عليهم السلام) لم يتركوا الأمة وإن اعرضت عنهم تأسياً بجدهم المصطفى (ﷺ) الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فكانت هذه إحدى طرق تواصلهم مع الأمة.

وقابليات المرأة العقلية والذهنية والمعرفية لا تقلّ عمّا عند الرجل، فيمكنها المشاركة في هذا الجهد المبارك أذا أتت البيوت من أبوابها، واتقنت المقدمات المطلوبة.

وأنصح الأخوات أن يتوجهن بعد تحصيل القدرة على فهم معاني القرآن وتفسير آياته على نحو الترتيب في المصحف والمعروف بالتفسير التجزيئي، الى تطبيقها على نحو التفسير الموضوعي فيعالجن بروية قرآنية قضايا اجتماعية وتربوية واخلاقية وحقوقية وتشريعية تعني المرأة، وهي كثيرة في القرآن الكريم يمكن تشخصيها بمساعدة الأساتذة المتخصصين، وأشرت الى كثير منها في تفسير (من نور القرآن).

وانني أرى أن هذا المنهج في التفسير أكثر عطاء وتركيزاً على القضايا والمشاكل والمعالجات وإجابة الأسئلة، ويمكن أن تتصدى مجموعة من الفاضلات لمعالجة قضية معينه وفق الرؤية القرآنية ثم تجمع هذه الجهود المباركة لنحظى بتفسير متميّز.

وأجد نفسي متفائلاً بقطف هذه الثمرة المباركة مع توفر الرغبة الأكيدة والهمة العالية والإخلاص والمثابرة وتعاون الجميع، فقد وعد الله تعالى المؤمنين بالنصر والتثبيت والتأييد إن هم نصروه في أي مجال وبأي شكل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

---

(٦) وهو الميرزا علي محمد النجف آبادي، قال عنه تلميذه الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ((اعلى من حضرت عليه في الحكمة والعرفان العارف الإلهي الذي كان أكبر أساتذة الحكمة والعرفان وكان درسه في (الأسفار) ولكنه يتفجر بينابيع الحكمة)) (عقود حياتي:٥٩-٦١).

(٧) أي وجدوه واضحاً وظاهر الانطباق على الآية. (٨) حقائق الأصول: ج ١ /ص ٩٦. (٩) بحار الأنوار: ج ٢ /ص ٣٠.

تتمة: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

أحدهما: إنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله (ﷺ) والآخر: إنه غلب على ظنه أنه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبراً، كما فعل بابن عمه مسلم، فكان القتل مع عز النفس والجهاد، أهون عليه)(٥٠).

نعم تتحقق التهلكة لو كانت التضحية بلا هدف يستحق ذلك، فالشهادة في سبيل الله تباين تماماً إلقاء النفس في التهلكة لان هدفها اسمى الأهداف وهو اعلاء كلمة الله تعالى، والمعصوم (عليه السلام) أعلم بتمييز هذه الموارد روى الشيخ الصدوق في الإكمال بسنده عن سلمان الفارسي عن النبي (ﷺ) يقول فيه لعلي (عليه السلام): (يا أخي أنت ستبقى من بعدي وستلقى من قريش شدة ومن تظاهرهم عليك وظلمهم لك، فإن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم وقاتل من خالفك بمن وافقك، وإن لم تجد أعواناً فاصبر وكف يدك ولا تلق بها إلى التهلكة)(٥١).

وروى في العيون خبراً طويلاً عن إجبار المأمون للإمام الرضا (عليه السلام) على ولاية العهد وفيه (قال له المأمون: فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك فإن فعلت وإلا ضربت عنقك، فقال الرضا (عليه السلام): قد نهاني الله عز وجل أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك فأنا أقبل على أن لا أولي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقض رسماً ولا سنة، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً فرضي منه بذلك، وجعله ولي عهده على كراهة منه (عليه السلام) لذلك)(٥٢).

وفي رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام): (وحق السلطان أن تعلم أنك جُعلت له فتنة وأنه مبتلى فيك بما جعله الله عز وجل له عليك من السلطان، وأن عليك ألا تتعرض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له في ما يأتي إليك من سوء)(٥٣).

ثم قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥) فالمطلوب منّا تحسين العمل والإتيان به بأحسن وجه، وليس الاتيان بالعمل على أي نحو كان لأن التفاوت في الدرجات يكون بحسب حسن العمل قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧)(٥٤) ويتحقق حسن عمل المعروف عموماً ومنه الإنفاق بإخلاص النية وإجادته وإتقانه طبق الموازين الشرعية واجباً كان او مستحباً، وعدم إتباعه بالمنّ والعُجب والرياء، وإخفائه إذا كان إعلانه سبباً لهذه القبائح، وتعجيله قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨) وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣) وروي عن الامام الباقر (عليه السلام) قوله (من هَمَّ بشيء من الخير فليعجلّه فإن كل شيء فيه تأخير فإنَّ للشيطان فيه نظرة)(٥٥) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (تعجيل البر من البر)(٥٦)، وقال (عليه السلام): (خير الأمور أعجلها عائدة وأحمدها عاقبة)(٥٧)، وقال (عليه السلام): (رأس السخاء تعجيل العطاء)(٥٨) ومن الإحسان وضع البّر في موضعه، وعدم الاكتفاء بالواجب ما دام المستحب متيسراً، واختيار المورد الأمثل والأفضل عند التزاحم، والتوازن في الإنفاق بين الإفراط وهو الإسراف والتفريط وهو الإقتار كما نصّت عليه آية الفرقان المتقدمة.

وهذا معنى جارٍ حتى في إنفاق النفس فإن التهور والاندفاع من دون حسابات صحيحة وخطط محكمة يجعله من موارد التهلكة ويحرم المسلمين من أحد عناصر القوة فيه، كما أن التفريط يتحقق بالجبن والانهزام والتخاذل عن أداء العمل المكلف به مما يضعف جبهة الحق، فالفعلان محرمان.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (لو أن رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل الله ما كان أحسن ولا وفق، أليس يقول الله عز وجل: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) يعني المقتصدين)(٥٩).

---

(٥٠) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/٢٢. (٥١) تفسير نور الثقلين: ج ١ / ص ١٨٠/ح٦٣٦. (٥٢) تفسير نور الثقلين: ج ١ / ص ١٨٠/ح٦٣٤. (٥٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢ /ص ٦٢٠.

(٥٤) راجع قبس هذه الآية في تفسير من نور القران: (٥٥) الكافي: ٢ /١٤٣/ح٩. (٥٦) غرر الحكم: ح ٥٠٣٣. (٥٧) غرر الحكم: ح ٥٢٥٠. (٥٨) غرر الحكم: ح ٦٧٤١. (٥٩) الكافي: ج ٤ /ص ٥٣ / ٧.

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ محمد ال
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول (ﷺ) أو على عنوان البريد الألكتروني : com.
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي